مشغـــول

طبعا ، وأى انسان أكثر شغلا فى هذه الأيام من صاحب الفضيلة مولانا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ؟ فبين يديه أعمال ثقال تنوء بالجمال والجبال فضلا عن الرجال . وهذه الأعمال منها ما هو معروف ، ومنها ما هو مجهول . وليس من حق الناس جميعا ، ولا من طاقتهم أن يعرفوا ما يشغل به مولانا وأمثاله ، وإنما يتاح لهم شىء وتخفى عليهم أشياء ، فهم يعلمون مثلا أن مولانا مشغول بأمر هذا الشيخ المفتش الذى يتهمه بعض الناس بأنه سرق من أموال الدولة ويقول فيه بعض الناس إنه لم يسرق وإنما كذب . ومولانا مشغول بتحقيق الأمر وإنفاذ حكم الله فى الشيخ إن كان سرق وإجراء حكم الله على الشيخ إن كان كذب والناس يعلمون أن مولانا مشغول بأمر هذا الرجل الذى يزعم أنه شهد الدروس أعواما عدة حتى إذا أدى الامتحان وأصبح من العلماء كشف الله لمولانا حجب الغيب فتبين له أن العالم الجديد قد خدع الرقباء وغش الأرصاد وخيل إليهم أنه حضر مع أنه لم يحضر وأنه اختلف إلى الدروس مع أنه لم يختلف إليها .

فرفع الشيخ أمره الى المجلس الأعلى وألغى امتحانه ، واسترد إجازته فلما كان فى ليلة من الليالى هتف به هاتف فى النوم بشىء من العتب واللوم وقال له : لقد تعجلت فى أمر هذا المسكين ، وأسرفت عليه بهذا العقاب ، فمن الذى يستطيع أن يجزم بأنه حضر أو بأنه لم يحضر ؟ وأنت تعلم حق العلم أن لبعض الصوفية كرامات تمكنهم من أن يحضروا ويسمعوا ويعلموا ويقولوا ثم لا يراهم أحد ولا يشعر بهم أحد . فجائز أن يكون الشيخ قد حضر بروحه لا بجسمه ، وأنت تعلم حق العلم أن من الناس من يرزقون شيئا من الكرامة يتيح لهم أن يحضروا أمكنة مختلفة ويسمعوا دروسا متباعدة ويشتركوا فى أعمال متباينة ويخطبوا فى اجتماعات متعددة فى وقت واحد وشخصهم قائم مكانه لم يبرحه ولم يتجاوزه ، والناس يرونه ويطيفون به ويتحدثون إليه ، فجائز أن يكون هذا العالم الجديد المظلوم قد حضر الدروس فى الأزهر ، وصلى فى المسجد الأقصى ، وصلى فى المسجد الحرام ، وصلى فى

كوكب الشرق فى ١٤ – ٦ – ١٩٣٣ .

المسجد النبوى ، وصلى فى المسجد الأموى ، وزار بغداد وإرم ذات العماد ! وهو جالس فى مكتبه فى وزارة الحقانية ، لم يغب عنه ، ولم يفتقده أصحابه لحظة أو بعض لحظة . ولأمر ما قيل يجب أن تحمل حال المسلم على الصلاح فلا يكذب حتى يقوم البرهان القاطع على كذبه ، وأين السبيل إلى إقامة البرهان القاطع على كذبه ؟ وأين السبيل على إقامة البرهان على أن هذا الشيخ لم يكن من أصحاب الأبدال ؟

قال الراوى : فأفاق الشيخ حائرا مضطربا بعض الشيء ، لا يدرى بما يقضى فى أمر هذا الشيخ أيمضى فى حرمانه من شهادة العالمية أخذا بظواهر الأمور ؟ أم يسعى فى ردها عليه أخذا بحديث أهل الباطن ؟

فلما كان من الليلة المقبلة جاءه هاتفان يسعيان أحدهما من يمين والآخر من شمال ، أحدهما قصير عريض المنكبين ، والآخر طويل ، ضيق ما بين الكتفين ، أحدهما من مراكش ، والآخر من اليمن ، وكلهم شهد أمام الشيخ ، وكلهم أكد للشيخ أنه رأى هذا العالم الجديد يختلف إلى الدروس فى الأزهر ، وأنه كان يختلف معه إلى هذه الدروس ، فالتفت الشيخ إلى صاحب اليمين فسألة: ما اسمك ومن تكون ؟ قال الهاتف فى لهجة مغربية : أنا عراف بن نظاف ، رجل من أهل مكناس ، ولدت فى القرن السابع ونشأت على حب العلم ، ومازلت أختلف إلى دروسه فى جميع أقطار الأرض . فنفع فى قلبى كل هذه الدروس على اختلاف لغاتها ومصادرها . قال الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !! أإنسى أنت أم جنى ؟ قال الهاتف : ومتى رأيت الناس يعمرون كل هذه القرون ، ويأتون من الأمر مثل ما آتي ؟ إنما أنا رجل من جن مكناس . وهم الشيخ أن يلتفت إلى صاحب الشمال فابتدره الرجل قائلا : كفيت السؤال عنى يا مولانا ، أنا جنى من أهل الأحقاف ، هاجرت إلى اليمن حين افتتحها الأيوبيون والتقيت فى بعض أسفارى بهذا الشيخ عن يمينك فاصطحبنا واشتركنا فى طلب العلم : فلما رأينا ظلم هذا العالم الجديد أشفقنا عليك وعليه فجئنا نردك إلى الحق ، ونهديك إلى الصواب . وآفاق الشيخ حائرا مضطربا فى أمر هذه الهواتف ، أيصدقها ويرد إلى الشيخ شهادته أم يكذبها فيمسك الشيخ فيما هو فيه من حرمان ؟ والشيخ فى هذا كله تهتف به الهواتف إن كان الليل وتعتريه الهموم إن كان النهار . وفى أثناء ذلك ترسل السياسة إلى الشيخ مندوبا ليتحدث إليه عن المبشرين .

أف للسياسة ! وأين الشيخ من المبشرين ؟ ومن ذا الذى زعم للسياسة أن الشيخ فارغ البال ليتحدث عن التبشير والمبشرين إنما يتحدث عن التبشير والمبشرين رجل فارغ

البال ، هادىء الحال كالأستاد المراغى ، لا تهتف به هواتف الليل ولا تعتلجة هموم النهار هذا الرجل هو الذى يستطيع أن ينكر التبشير وأن ينصح للحكومة والأمة بالإعراض عن المبشرين والضرب على أيديهم ، ولو أن الاستاذ المراغى مشغول بالدفاع عمن يتهم بالسرقة أو الكذب أو بهما جميعا . ولو أن الاستاذ المراغى مشغول بهتاف الهواتف وطواف الطوائف ، لرد مندوب «السياسة» خائبا كما رده مولانا الأكبر أمس . فأما والأستاذ المراغى فارغ البال فليتحدث ، والحديث عن المبشرين فرض كفاية إذا قام به المراغى سقط عن الظواهرى . وقد تحدث المراغى أول أمس فسكت الظواهرى أمس ، ولكن « السياسة » قليلة العلم بأحكام الفقه ، فهى تعتقد أن على كل عالم من علماء الدين أن يتحدث عن المبشرين . والحديث عن المبشرين لا يخلو من ضرر ، ولاسيما حين يكون المتحدث من أهل المناصب الكبرى . فهو قد يغلو فيستقيل أو يقال . وقد يقصر فتسوء به الظنون ، لذلك لا يفرض الحديث عن المبشرين إلا على علماء الدين الذين لا يخافون على منصب ولا يشفقون على مرتب ولا يتعرضون لإقالة أو لاستقالة .

ستقول ولكن الأستاذ المراغى كان للأزهر ، ولو قد سئل فى أمر المبشرين يومئذ لما تلكأ ولا اعتذر ، ولا خاف إقالة ولا استقالة وسيكون الأستاذ المراغى شيخا للأزهر وسيسأل يومئذ عن المبشرين وغير المبشرين ، وسيجيب يومئذ بكلمة الحق ، لا يخاف على منصب ولا يشفق على مرتب . وأنا أوافقك على هذا كله ، لا أشك فيه ولا أرتاب ، ولكنى أبين لك السبب ليزول العجب . فالشيخ المراغى لا يعرف الخوف لأنه لم يتعود أن يلقى الهواتف من أهل مراكش وأهل اليمن . وإن شئت الوضوح فقل إنه ليس من أهل الباطن ، وهو لهذا لا يخاف ولو قد كشفت له الأسرار ، وانجلت عنه الحجب ، وعرف ما يضمره الدهر لأصحاب الشجاعة والصراحة لأشفق كما يشفق غيره ولخاف كما خاف غيره ، ولقال لمندوب « السياسة » حين ذهب إليه : إليك عنى فإنى مشغول !!